أبو عمرو بن العـــلاء

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

(لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء)
يونس بن حبيب

القرمة :

ما بال هذا الشيخ العلاء بن عمار وابنه الفتى أبي عمرو يضربان في إحدى صحاري اليمن مصعدين إليها ؟

أما أكبرهما فيجلله الشيب ويغشيه الوقار وتلوح طلعته عن عراقة النسب وكرم النجار وإن كانت تبدو عليه رهبة الخائف وخشية المطلوب .

لكن الفتى أبا عمرو — وقد خلق بضعاً وعشرين سنة — تتبين في تقاسيم وجهه مخايل النجابة ولمحات الذكاء ، ويطالعك بالبصيرة النفاذة والفكر اللماح ، وتتوسم فيه لهفة المتعطش إلى انتهال المعارف وارتشاف العلوم .

وبينما الصمت يلف أجنحته على هذا الفضـــاء المترامي إلا ما تسمعه من همس أخفاف الإبل وهي تلامس صفحة الرمال المتوسطة ، انطلق صوت أعرابي يحدو السير وهو ينشد :

لا تضيقن بالأمور فقد تفـــرج غماؤها بغير احتيال
ربما تكره النفوس من الأمـــر له فرجة كحل العقـــال

فأقبل الشيخ وهو يغالب لهفة تعلك عليه نفسه يسأله عما وراءه فكان جوابه : مات الحجاج .

لله الحمد يا ربي ! انطلقت بها أسارير العلاء قبل أن يترطب بها لسانه بين فكيه ، وأخذت وسامة الارتياح تجلو عن صفحته جهامة الإقزاع ؛ وأدار وجه راحلته ليصرفها إلى البصرة بعد أن تقبل التهنئة من فتاه بسلامته من طلب الحجاج مما جعله يركب أهوال الصحراء في طلب النجاة وقد ضم إليه ابنه خشية أن تمتد إليه يد الإيذاء . أما أبو عمرو فهو — كما يحدث عن نفسه — كان أكثر فرحاً بالإنشـــاد من سماعه بنبأ الوفاة . أليس ذلك الأعرابي يقول : « لله فرجة كحل العقال » بفتح الفاء من الفرجة لما كان فرجاً من الهم المنوي وهو يحفظها من قبل بالضم لما كان بين الشيئين الحسيين ؟

نسب أبي عمرو :

اشتهر بكنيته أبي عمرو واسمه الحقيق زبان بن العلاء بن عمار ابن العريان بن عبدالله بن الحصين ، وينتهي إلى مازن من تميم ، كان من أشراف العرب ووجهائها مدحه الفرزدق بقوله :

ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وغضب مرة فهجاه ثم جاء إليه معتذراً فقال أبو عمرو :

هجوت زبان ثم جئت معتذراً من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

ويكفي في مكانته من قبيلته أن أباه كان من الرجال الذين اتجهت إليهم أنظار الحجاج فطلبه للقضاء عليه .

نشأته وشيوخه .

ولد بمكة في أواخر العقد السابع من القرن الأول الهجري ، وبها وبالمدينة كان تلقيه لكتاب الله حيث كان يسارع إلى حفظه كل فتى من أهل الحرمين وغيرهما من الأمصار إذ ذاك . وكان علماؤها يتلقون روايات القرآن المختلفة عن رسول الله ويختارون منها ما وافق شروطهم في الاختيار ؛ وكانت رواية هذا أو بعضه — فضلاً — بجانب رواية الحديث — أعظم ما يهتم به المتعلمون وأكرم ما يسعى إليه الراغبون . ولكن أبا عمرو لم يدع أحداً من نابهي القراء إلا تلقى عنه القراءة وعرضها عليه . وأقدم من أخذ عنه من أهل مكة مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٣ هـ وعطاء ابن أبي رباح المتوفى سنة ١١٤ ، وعكرمة بن خالد المخزومي المتوفى

عن تغذية الثوار اليونانيين . ويقول ممثلو حكومة اليونان في هيئة الأمم إن الشعب اليوناني في منطقة الحكومة وفي منطقة الثورة على السواء يرغب في السلم ، ولن يتم له تحقيق هذه الرغبة إلا بوقف تدخل الدول المجاورة .

ويعزز رأي اليونان أصوات سادة هيئة الأمم المتحدة وهم الإنجلوسكسون ، وقد استطاعوا إقناع أعضاء الهيئة بتخويل اللجنة الدولية في البلقان صلاحيات جديدة يعززها من الخلف نفوذ لايك سكسس عسى أن يستقر السلام في تلك المنطقة التي هي رميل البارود في حروب أوربا الشرقية .

ويقول تقرير نشر في لايك سكسس مؤخراً إن اللجنة الدولية المذكورة معززة بقرار الجمعية العمومية قد بحثت مبدئياً في تقريب وجهات النظر بين الحكومة اليونانية وجاراتها على أسس جديدة قد تسفر — إذا استمر هذا الجو الهادئ نسبياً الآن في البلقان — عن خطوات عملية جدية لتصفية نهائية ...

(نيويورك) عمر عليش

سنة ١١٥، وعبدالله بن كثير أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٢٠، ومحمد بن محيصين أحد القراء الأربعة عشر المتوفى سنة ٢٣ ، وحميد بن قيس الأعرج المتوفى سنة ١٣٠

وأخذ من شيوخ المدينة عن يزيد بن رومان المتوفى سنة ١٢٠ وأبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة المتوفى سنة ١٣٠ وشيبة بن نصاح المتوفى سنة ١٣٠ وقد تلقى عن هؤلاء الثلاثة أيضاً نافع أحد القراء السبعة . ورحل إلى البصرة والكوفة فأخذ من شيوخ البصرة عن نصر بن عاصم ويحيي بن يعمر اللذين توفيا سنة ٩٠ القرآن والنحو ؛ وأخذ من الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ أحد القراء الأربعة عشر القرآن ، وعن عبدالله بن أبي إسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ القرآن والنحو ، وتلقى بالكوفة القرآن عن سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ وعاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٢٧ فأبو عمرو وهو أحد السبعة المشهورين إلى عهدنا هذا مع بقية العشرة إلى الأربعة عشر ، أخذ عن كل من سبقه في السن وشارك من قاربه إلا ابن عامر بدمشق فإنه لم يأخذ عنه ولم يشاركه. ولعل أبا عمرو لم يكن — كما يبدو من طلب الحجاج لأبيه — من المقربين إلى خلفاء بني أمية ، فلم يحاول أن يقدم عاصمتهم ويأخذ عن قارئها عبدالله بن عامر ، وبخاصة إذا علمنا أنه زار دمشق في دولة العباسيين . ثم استقر به المقام في البصرة إلا ما تدر حيث تهيأت له إمامة القراءات والأدب بعد أن طوف بالأمصار وخاض البوادي

علمه :

ليس بالكثير على رجل كأبي عمرو ، وقد أخذ عن أعلام الإسلام وأجلة العلماء أن تكون له مكانته في العلم ملحوظة ، فيقول فيه تلميذه أبو عبيدة : كان أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر . وأن يقول تلميذه الأصمعي : سألت أبا عمرو عن ألف مسألة فأجابني فيها بألف حجة . وأن يثني أبو عمرو بما وفقه الله إليه فيقول: لقد حفظت في علم القرآن ما لو كتب ما قدر الأعمش على حمله . ويقول ما رأيت أحداً قبلي أعلم مني . ويزيد الأصمعي على ذلك : ولم أر بعد أبي عمرو أعلم منه . وفيه يقول تلميذه يونس بن حبيب : « لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء »

وهو إلى جانب شيوخه الذين فاق بعددهم كل من عاصره كانت دفاتره ملء بيته إلى السقف .

أدبه :

يروى أبو عمرو الشيباني : ما سألت أبا عمرو بن العلاء عن حماد إلا قدمه على نفسه ، ولا سألت حماداً عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه . وإن كتب الأدب واللغة لتروي شروح أبي عمرو للشعر وروايته له وذوقه الأدبي في تخير أجودها ، فأبو الفرج في أغانيه يقول : كان أبو عمرو يرى أن بشار بن برد أبدع الناس بيتاً حيث يقول:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم

وأنه أمدح الناس بقوله :

لست بكفي كفه ابتغي الغنى ولا أدر أن الجود من كفه يعدي

وأنه يقول : أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة :

تقول ألا تبكي أخاك وقد أرى مكان البكا لكن بنيت على الصبر

وأنه لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من بيت الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وكان يقول : أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج :

وكانت له موازنات بين الشعراء ، فهو يشبه جريراً بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والأخطل بالنابغة . وكانت له تشبيهات جميلة ؛ من ذلك قوله : عليكم بشعر الأعشى فإني شبهته بالبازي يصيد ما بين العندليب إلى الكركي . وكان يقول : إنما شعر ذي الرمة نقط عروس تضمحل عما قليل ، أو أبار ظباء لما تم في أول شهرها ثم تعود إلى أرواح الأبار . وعرض عليه قول عدي بن الرقاع :

لولا الحياء وأن رأسي قد عثا فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكأنها وسط النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

فقال : أحسن والله ، وكان عنده شيخ مدني جالس فقال والله لو سمعت لحن سعيد في هذا الشعر لكان طربك أشد واستحسانك أكثر . وكان أبو عمرو لكثرة تنقله واتصاله بأهل البادية يعرف فصحاء القبائل فيقول : « أفصح الناس أهل السروات » ولقد بلغ من قدرته أن وضع — كما اعترف — بيتاً من الشعر دسه في شعر الأعشى وهو :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فلم يلبس صنعه إلا بشاو .

إقبال الناس عليه وتوسيده :

إن رجلاً بلغ من العلم والأدب والمكانة ما بلغه أبو عمرو يكون قبلة الناس في مجتمعاته ؛ فلقد روى أن الحسن مر بأبي عمرو وحلقته متوافرة والناس عكوف فقال من هذا ؟ فقالوا أبو عمرو . فقال لا إله إلا الله ! كادت العلماء أن تكون أرباباً . كل من لم

يؤكد بعلم فإلى ذل يؤول ؟ .

ولقد نبغ من تلاميذه من أصبحوا حجة فى الأدب واللغة والنحو والقراءات ؛ فأبو عبيدة والأصمعى وأبو زيد الأنصارى والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب ويحيى بن المبارك اليزيدى ومعاذ بن مسلم وسيبويه كلهم غرس يده وفيض بحره وثمرة علمه فكل فضل ينسب إليهم يشاركهم فيه ، وكل علم إنما هو الذى فتح لهم أبوابه وأثار لهم سبله .

وفاته :

إن هذه النفس الصافية التى انقطعت للعلم ونشره قد لجأت إلى بارئها وأخلصت له راجية أن يشملها بعفوه شاكرة له توفيقه وجزيل نعمه ، فما كان يدخل شهر رمضان حتى ينقطع عن إنشاد الشعر ويختم القرآن كل ثلاث ليال مرة . وكان نقش خاتمه :

وإن امرأ دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

ولما بلغ به النسك مداه أحرق جميع دفاتره التى كانت ملء بيته إلى السقف لينقطع إلى قراءة القرآن .

أصول قراءته وأثر شيوخه وقبيلته فيها :

كان لشيوخ أبى عمرو فى القراءة أثر ولقبيلته أثر .

١ — فتسهيل الهمز عادة لغوية للحجازيين تخالف قبيلة أبى عمرو، لكنه تأثر بشيوخه فكثيراً مايشارك نافعاً وابن كثير وأبا جعفر وابن محيصين وهم قراء مكة والمدينة الذين أخذ عنهم أو شاركهم فيمن تلقوا عنه .

٢ — والإمالة عادة لغوية لقبيلته تميم ومن شاركها من سكان نجد ؛ لهذا كانت الإمالة من أصول قراءة أبى عمرو إلا أن إمالته لم تكن كبرى ، بل هى بين الصغرى والكبرى؛ فليس كقراء الكوفة ولا كقراء الحجاز ، بل بين المذهبين . وغالباً مايشاركه فى الإمالة الأزرق من رواية ورش عن نافع إلا أن إمالة الأزرق صغرى ، وقد يزيد أنه يميل ما لا يميله أبو عمرو ، وقد تكفلت كتب القراءات بشروط كل منهم فيما يمال .

٣ — تسكين الوسط المتحرك من تخفيف قبيلة أبى عمرو، ولهذا كان التخفيف مما يسلكه فى قراءته وقد يشاركه فيه غيره ومع هذا قد يتفق مع نافع وابن كثير وأبى جعفر وابن محيصين فى فتح ياء المتكلم إذا وقعت بعدها همزة قطع مفتوحة مثل إنى أعلم ، ويتفق مع نافع وأبى جعفر فى فتحها إذا وقعت بعدها همزة قطع مكسورة مثل من أنصارى إلى الله .

٤ — الإدغام : يظهر أن الإدغام من عادة قبيلة تميم اللغوية . وللادغام فى القراءات أسباب وشروط وموانع فإذا وجد الشرط والسبب وارتفع المانع جاز الإدغام . وأسبابه :

١ — تماثل الحرفين بأن يتحدا مخرجاً وصفة كالباء فى الباء

٢ — التجانس : بأن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفة كالدال فى التاء .

٣ — التقارب : بأن يتقاربا مخرجاً أو يتقاربا صفة أو يتقاربا مخرجاً وصفة . وقد اختص أبو عمرو بما يسمونه الإدغام الكبير فهو يحرص عليه ويمتاز به عن غيره من القراء ، وقد يشاركه بعضهم فى نوع منه ، وقد تكفلت بتفصيل ذلك كتب القراءات

أما اختلاف القراء فى أن الفعل بالتثنية أو الخطاب ، أو أنه رباعى أو ثلاثى أو أن الاسم منون أوغير منون ، وما شابه ذلك مما ليس من الأصول العامة ، ولا يعرف إلا عند قرش الحروف أى تلاوة الآيات ، فإن أبا عمرو كثيراً ما يوافق شيوخه الحجازيين فيما اختاروه .

وفاته .

فى سنة ١٥٤ هـ تقريباً توفى أبو عمرو فى الكوفة عند عودته من دمشق حيث كان فى زيارة لواليها عبد الوهاب من بنى العباس . قال أبو عمرو الأسدى : لما أتى نعى أبى عمرو أتيت أولاده فعزيتهم عنه ، فأنى امتدهم إذ أقبل يونس بن حبيب فقال : تعزيكم وأنفسنا بمن لا نرى شبهاً له آخر الزمان . والله لو قسم علم أبى عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء وزهاداً . والله لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسره ما هو عليه . ويروى ابن الجزرى أن قراءة أبى عمرو فى القرن الثامن ومفتتح التاسع كان عليها الناس بالشام والحجاز واليمن ومصر» . ولقد كانت إلى عهد قريب منتشرة بصعيد مصر ، ثم طغت عليها رواية حفص عن عاصم . رحم الله أبا عمرو رحمة واسعة .

عبد الستار أحمد فراج

مدرس بالمعهد اللغوى

مصادر البحث: (١) النشر (٢) إتحاف فضلاء البشر
(٣) المكرر (٤) غاية النهاية (٥) الأغانى
(٦) ابن خلكان (٧) بغية الوعاة (٨) نزهة الألبا
(٩) أخبار النحاة (١٠) دائرة المعارف الإسلامية
(١١) معجم الأدباء